في الأخلاق

الإرادة — الصبر

بقلم الأستاذ الدكتور يحيى الدرديري

الإرادة هي إحدى قوى الإنسان المعنوية التي تظهر مائلة في العمل قوة وضعفا ولها أسماء عدة تختلف باختلاف مايعمله الإنسان . فهي في تحصيل العلم ودوام العمل في كسب العيش تسمى صبرا . وفي احتمال الغنى وعدم الانقياد إلى الشهوات تسمى ضبط النفس . وفي مواطن القتال والجهر بالحق تسمى شجاعة . وفي مواطن كظم الغيظ تسمى حلما . وفي الرضا بالقليل من العيش تسمى قناعة . وفي ترك فضول العيش تسمى زهداً . فالإرادة عنوان الأخلاق في ميدان العمل .

تتكون الإرادة في الإنسان من عوامل شتى أهمها التربية البدنية والتربية الأدبية والوسط والتعليم « وأول معاهد التربية رأجلها البيت ثم تأتي من بعده دور التعليم ثم الدنيا وهي مدرسة الحياة الكبرى وكل من هذه المعاهد معهد للآخر » . ومصير الرجل والمرأة متوقف على حظهما من التربية في حياتهما فأن حرما نعيم البيت والمدرسة وشبا غير مهذبين وغير متعلمين فويل لهما وويل لمجتمع هما من أعضائه

ورد في مذكرات السيدة شليتيك وهي امرأة زارت مع بعلها أكثر ملاجئ المجانين في أوروبا فوجدت أكثر المرضى عددا يكاد يكون دائما أطفالا لم تقوم إرادتهم في أول حياتهم . أما الذين من بيوت كبيرة وهذبت نفوسهم فكانوا أقل عرضة للمرض .

قوة سلطان الإرادة تظهر في ضبط النفس . وتسيرها في طريق الاعتدال دون إفراط أو تفريط . وبذلك يحكم الإنسان شهواته ويمكنه أن يسير بخطوات ثابتة في ميدان الخير والإحسان . قال هربرت سبنسر : « ضبط النفس ركن من أركان الكمال البشري » . فالغرض من التربية النفسية إذا لم نقل التربية بأقسامها ألا يكون المرء متقلباً ينزل على حكم كل رغبة أو

بل يكون مضبوط النفس عادتاً يتخذ من حواسه مجتمعة حكماً يبحث فى عمل من أعماله قبل أن يبت فيه

وفى مقدور الانسان أن يقوى إرادته . بالأخذ فى أسباب تهذيب أخلاقه ومراقبة نفسه فى الصغير والكبير من تفكيره وعمله وهذا يحتاج إلى مجهود كبير مستمر يصل إليه الانسان من طريق العادة وبالتأنى على مايراه حقا وفضيلة وقد يفشل فى محاولاته ولكن ليذكر أن لا عار على المرء أن يفشل وإنما العار أن يرضى بالفشل . وأنه مما لا نزاع فيه أن للمزاج والصحة والتربية الأولى أثرا كبيرا فى الأخلاق . قال معلم فاضل: «أن الميول والعادات يمكن تعليمها وتعلمها كما يمكن تعليم اللاتينية واليونانية وتعلمها»

وقال الاستاذ جيمس : «لارادة المرء دخل كبير فى كآبته أو انشراحه» فاذا لاحظنا أن هذا القول صادر عن رجل خلق بطبيعته مستعدا للكآبة ميالا إلى الحزن حكمنا بأن فى استطاعة الانسان أن يعود نفسه الصبر والقناعة أو يعودها التندم والتذمر . وإنه يمكننا أن نعود أنفسنا تجسيم الشرور التافهة وتحقير النعم الكبيرة . وإنه يمكننا أن نصير عبيد لا زعجات الصغيرة إذا استسلمنا لها . لان عادة النظر إلى الأشياء من وجهتها السارة والنظر إلى الحياة بعين ملؤها الأمل يمكن أن تربى فينا كغيرها من العادات . ولم يكن الاستاذ جيمس مغاليا حين قال « لأن يعتاد الانسان أن ينظر إلى الحوادث من وجهتها الحسنة خير له من قناطير مقنطرة من الذهب والفضة » الارادة القوية التى تتمثل فى ضبط النفس وحكم الانسان لشهواته تظهر فى أمور كثيرة ولكن فى المعيشة الشريفة أظهر لأن الذين حرموا فضيلة ضبط النفس عبيد لشهواتهم أرقاء لغيرهم . يقلدون من حولهم . ويعيشون عيشتهم ويباهون بتبذيرهم غير حاسبين للعواقب حساباً . وكثيرا ما يجرهم هذا التقليد السيء إلى الخراب . والسقوط بين براثن الدين والهم والتكدد الدائم . أما أصحاب العقول السليمة والارادة القوية فيأبون أن يظهروا بغير مظهرهم الحقيقى أو يدعوا ثروة أكثر من ثروتهم . ويعيشوا عيشة لا تبررها حالتهم فتراهم وقد تدرعوا بالشجاعة وقوة العزيمة مما يجعلهم يؤثرون العيش الشريف بما عندهم على العيش غير الشريف بما عند غيرهم . ولا فرق بين اللص وبين من تحمل نفسه الدين طلبا لمعيشة لا تسمح بها ثروته فكلاهما لا شرف له . قال شفتسبرى : « أصل فساد الآداب شدة الشوق إلى الحصول على ما لا تملك والظهور بغير حقيقة أمرنا » رأى سقراط شيئاً كثيرا من الأثاث والرياش محمولا فى موكب فاخر يسير فى طرق أثينا فقال: « الآن علمت كم من أشياء فى هذه الحياة الدنيا أنا فى غنى عنها »

الارادة مقياس لتفاوت الأمم فى مضمار النجاح والشقاء والحرية والاستعباد ، فالأمم التى

ضعفت إرادة آبائها فى تحصيل العلم والأخلاق الفاضلة والصبر على المكاره فى الميدان العملى والصناعى والتجارى والزراعى : فضت على نفسها بالتأخر والاستعباد للأمم اللاتى أوتى أبناؤها قوة الإرادة فيما ذكرنا من الأعمال.

أكبر مظاهر الإرادة هو الصبر ، وقد ذكر فى القرآن الكريم أكثر من سبعين مرة ومدح أهله وبشرهم بالفوز والفلاح وقوة احتمال النفس مايليق احتماله والرضا بما يكون فى سبيل نصرة الحق وعمل الخير وقد قال فيه الأستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده :

«الصبر خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق وما أوتى الناس من شىء مثل ما أوتوا من فقد الصبر أو ضعفه ، كل أمة ضعف الصبر فى نفوس أفرادها ضعف فيها كل شىء وذهبت منها كل قوة»

قال أكثم بن صيفى : «دعامة العقل الحلم ، وجماع الأمر الصبر» ، وقد ورد فى الأثر الحض فى الصبر على مانكره خير كثير ، وقال تعالى : «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»

الدكتور يحيى احمد الرديرى

عبد الملك بن مروان والأدب

أوقر عبد الملك بن مروان ناقة ذهبا وفضة وقال لجميل بن معمر العذرى صاحب بثينة ، وكثير عزة ، وعمر بن أبى ربيعة ليغنى كل منكم ثلاثة أبيات فأيكم أحسن غزلا فهى له فقال جميل : —

حلفت يمينا يابثينة صادقا ... فان كنت فيها كاذبا فعميت
حلفت لها بالبدن تدمى نحورها ... لقد شقيت نفسى بها وعميت
فلو أن واقى الموت يرقى جنازتى ... بمنطقها فى العالمين حييت

وأنشد كثير : —

بأبى وأمى انت من معشوقة ... ظفر العدو بها فغير حالها
ومشى إلى بيض عزة لؤمة ... جعل الملبك خدودهن نعالها
ولو ان عزة خاصمت شمس الضحى ... فى الحسن عند موفق لقضى لها

وأنشد عمر : —

فياليت أنى حين تدنو منيتى ... ثمت الذى مابين عينيك والفم
وليت ظهورى كان بيتك كله ... وليت حنوطى من مشاشك والدم
وليت سليمى فى المنام ضجيعتى ... لدى الجنة الخضراء أوفى جهنم

فضحك عبد الملك بن مروان حتى استلقى على قفاه وقال خذ الناقة ياصاحب جهنم.

محمود اسماعيل الحلبى
مدرس بالجيزة